وقد آثر د. غالب المطلبي مصطلح الصوامت مقابل المصطلح الإنكليزي Consonants، ومصطلح أصوات المد في مقابل مصطلح Vowels([[1]](#endnote-2)) وقد ايده بعض الدارسين([[2]](#endnote-3))

أقول : لابد من ان نتوسع قليلاً في المعنى الصناعي للمد لنطمئن الى حقيقة الامر ، ومن الجلي ان المنهج العلمي يفرض علينا ان نتابع المسيرة من اولى مراحلها الى ما انتهينا منها في عصرنا الحاضر . واليك سيرة هذه المسألة حسب تعقبي لها . قال احمد بن محمد العروضي (ت342هـ) : " وإنّما سميّت حروف المد واللين ؛ لأن الصوت لا يجري في شيء من الحروف سواها والمحنة تبيّن لك ذلك . ألا ترى انك إذا ناديت اسماً ليس فيه حرف من هذه الحروف وأردت ان تبالغ في النداء لبعد المنادى عنك ، فناديت مثلاً رجلاً اسمه سُبَد لم تقدر أن تمد صوتك إلاّ في حرف تجيء به من هذه الحروف فتقول : يا سُباد وإنّما جئت بالألف لفتحة الباء. فإن ناديت رجلاً اسمه عَضُد واردت المبالغة في النداء قلت : يا عضود ، فإن كان اسمه فخِذا قلت : يا فخِيذ . الحقت الواو للضمة والياء للكسرة والالف للفتحة ، ولو لم تلحق هذه لم يجر الصوت اليه"([[3]](#endnote-4)).

وقال في موضع اخر " وإنّما زيدت في القافية لانها حروف مد ولين والصوت يجري فيها ومن شأنهم ان يمدّوا أصواتهم في آواخر الابيات ويترنموا في مثل الغناء والحداء فلذلك زادوها في سائر الحروف "([[4]](#endnote-5))، وقال ايضاً – وهذا جار مجرى المثل - : " حروف المد واللين وهي الالف والياء والواو لأن هذه الحروف فيها يجري الصوت ولا يجري في غيرها"([[5]](#endnote-6)). ان امعاناً في هذه النصوص يظهر لنا حقيقة جلية ، وهي ان اللين اريد به المد لما فيه من قبول التطويل بصوته ، وهذا القول ادخل واقرب الى التحقيق ، فإنه مذهب الحذّاق ، واهل التدقيق كسيبويه ومن وافقه ، ونحن نبيّنه فيما نستقبل ان شاء الله .

ولي ان اتوقف قليلاً فأقول : ان المد واللين قد خصّ كلٌّ منهما بشيء من الدرس والتفصيل عند اهل العلم ، إذ لا مندوحة من أن استخدامهما معاً في هذا السياق بحاجة الى تبرير مبدئي على الاقل ، وسأبيّن لك واحداً واحداً . قال ابن خالويه (ت370هـ) : " وسمين ليناً لأنهن لان مخرجهن ، وسمين مدا لامتداد الصوت بهنّ "([[6]](#endnote-7)). وقال مكي بن ابي طالب القيسي (ت437هـ) : " حروف المد واللين وهي ثلاثة أحرف (..) وإنّما سمين بحروف المد ، لأنّ مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام الا فيهن (...) ولأنهن في انفسهن مدّاتٍ . (...) وإنّما سُمين بحروف اللين ؛ لأنهنَّ يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفةٍ على اللسان واللهوات ، بخلاف سائر الحروف ، وإنّما ينسللن بين الحروف عند النطق بهنَّ انسلالاً بغير تكلّف "([[7]](#endnote-8))، وقال الداني : " والممدودة ثلاثة احرف : الياء والواو والالف ، سُميت ممدودة لأن الصوت يمتد بها بعد اخراجها من موضعها (...) وتسمى ايضاً حروف اللين لضعفها وخفائها وان الحركات مأخوذة منها ، فالفتحة من الالف ، والكسرة من الياء ، الضمة من الواو "([[8]](#endnote-9)). وقال ابن بابشاد: " واما حروف المد واللين ، فثلاثةٌ معروفة ، سميت بذلك لما فيها من مد الصوت ولينه"([[9]](#endnote-10))، وقال ابو البركات الانباري (ت577هـ) : " اما المد فلان الصوت يمتد بها ، واما اللين فلأنها لانت في مخارجها واتسعت ، واوسعهن مخرجاً الالف"([[10]](#endnote-11)). وقال ابو المعالي الموصلي (ت621هـ) :" حروف المد واللين، وهي الالف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة ، وسميت حروف المد لانهن في انفسهن مدّات ، وحروف اللين لانهن يخرجن في لين من غير كُلفةٍ على اللسان"([[11]](#endnote-12)). وقال العيني (ت855هـ) :" وإنّما سميت حروف المد واللين لأن فيهنَّ المد واللين عند التصويت"([[12]](#endnote-13)).

اريد ان انهي هذا العرض فأقول : هذا كلام اهل الصناعة ، وهو توسع فيما تقتضيه الصناعة واللسان والمعنى متقارب كله دائر على ما يفيده من الحصر في المذكور. يقول  
 د. هنري فليش : " فالواقع ان عبارات (حروف المد وحروف المد والاستطالة ، وحروف المد واللين) كل هذه تدل – اذا دققنا النظر قليلاً او كثيراً – على مفهوم واحد وهو التدفق غير المقطوع للصوت في حال ادائه منقولاً بوساطة النفس"([[13]](#endnote-14)). وعالمنا الذي نقلنا عنه هنا ، انموذج للعالم المدقق الذي يعمل عقله ليستخرج الفكرة من بين الأجزاء المتناثرة والمبعثرة ، وتلك في حد ذاتها ميزة تكشف عن عقلية منطقية تتوخى الدقة والامانة قبل ان تدفع بالافكار الى عقول الناس .

وقد ينبغي ان نصير الى اعطاء اسباب اختياره هذه الترجمة ، وها هي ذي في ايجاز موجز .

1-يقول د. غالب المطلبي : " ولعل هذا المصطلح قريب في المعنى العام من مصطلح Vowel في اللغة الإنكليزية إذ انَّ المصطلح الإنكليزي يحمل في دلالته العامة معنى الغناء ومد الصوت فقد اورد اوكسفورد (...) استعمالات لـ Vowel تشير الى ذلك من نحو :

To utter the vowel in singing

To sing with vowel articulation

بل ان كلمة vowel مشتقة في الاصل من كلمة vox اللاتينية التي تعني الجهر والتصويت "([[14]](#endnote-15)). اما نحن فنميل الى الاخذ بالرأي القائل " اما تعريف الحركة بأنها الصوت الذي يمكن ان يغنىthat can be sung .كما قرر الهنود فهو تعريف ناقص على الرغم من انه ينتظم خاصة من خواص الحركات وهي حرية مرور الهواء في مجراه . فإمكانية الغناء - بالاضافة الى غموض مفهومها الصوتي – تنطبق على أصوات ليست من الحركات في شيء كالميم والنون مثلاً ، إذ من اليسر على الانسان ان يلهو و " يدندن" بتكرار احد هذين الصوتين "([[15]](#endnote-16)). والجمع بين هاتين الامكانيتين امر ترفضه طبائع الأشياء. ولا يسعنا الاسهاب ، لأن ذلك يقتضينا مجالاً لا يتسع له هذا المقال .

2-خطّأ د. غالب المطلبي ترجمة مصطلح vowel بـ " علة " ولعل هذا واضح من قوله : " ان هذا الفهم الخطأ ما زال واضحاً الى بعض الدراسات الحديثة التي يتصور اصحابها ان مصطلح " علة " يراد به ابراز الطبيعة الصوتية لهذه الأصوات ، وهذا واضح في ترجمتهم مصطلح vowel الإنكليزي بـ " علة " حين يتكلمون على هذه الأصوات "([[16]](#endnote-17))، وقد تقدم الكلام على هذا المصطلح بما فيه مَقْنَعٌ.

وقد ارتأى بعض المحدثين ترجمة مصطلح Consonnes او consonants الى الأصوات الساكنة ومصطلح voyelles او vowels الى أصوات اللين([[17]](#endnote-18))، بقول د. ابراهيم أنيس في هذا الصدد : " لقد كان من نتائج تحليل علماء " الفوناتيك " للأصوات اللغوية ان قسموها الى قسمين رئيسين ، سموا الاول منهما Consonants، والثاني Vowels او كما يسميهما بعض المحدثين في مصر أصواتاً ساكنة وأصوات اللين"([[18]](#endnote-19)). اقول : ولاشك اننا بحاجة الى ان نمحص تمحيصاً علمياً دقيقاً المعنى المجازي لمصطلح (اللين) ، " وذلك لان المصطلح ضرب من المجاز يتواضع عليه ، وكما ان المجاز فيه حقيقة ، او قل يتصل بالحقيقة في وجه من الوجوه ، فكذلك المصطلح "([[19]](#endnote-20))، وقديماً قيل : " اخراج الشيء عن المعنى اللغوي الى معنى آخر لبيان المراد"([[20]](#endnote-21))، ها انا مورد في هذه الاسطر ما تيسر لي معتذراً بضيق الوقت.

المعنى الاول : ولعل اقدم نص وصل الينا ، وفيه ذكر (اللين) ، هو قول جابر بن حيان (ت160هـ) : " حروف اللين الثلاثة وهي الواو والياء والالف "([[21]](#endnote-22)). وقول سيبويه عاضد لهذا القول ، وهاك ما نصه : " وحروف اللين هي حروف المد التي يمتد بها الصوت ، وتلك الحروف : الالف ، والواو ، والياء "([[22]](#endnote-23))، وقال الاخفش (ت215هـ) : " وحروف اللين : الياءُ والواو والالف ؛ إذا كن سواكن "([[23]](#endnote-24)). وقال ابن درستويه (ت347هـ) : " حروف اللين هي امّ الحروف التي لا تخلو منها كلمة "([[24]](#endnote-25)). وقال الزنجاني (ت655هـ) : " وانما سميت لينة وحروف اللين وحروف المد لأنها تخرج في لين من غير كلفة على اللسان ، وذلك لاتساع مخرجها ؛ لأن المقطع اذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان ، واذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب ، إلاّ أنّ الالف اشد امتداداً واستطالة إذ كان اوسع مخرجاً"([[25]](#endnote-26))، ويشبه هذا القول قول د. هنري فليش الى حد بعيد ، فكلاهما مما نحن فيه .

وقال الجاربردي (ت746هـ) :" الحروف اللينة حروف اللين وهي الالف والواو والياء لما فيها من قبول التطويل بصوتها وهو المعنى باللين "([[26]](#endnote-27)). وربما كان من المفيد ان انبه الى شيء آخر ، هو شيوع مصطلح (اللين والمد) حتى في كتب النحو العبري ، ولعل مرد ذلك " ان العربية كانت طوال قرون عدة لغة العلم والحضارة في العالم المتحضر "([[27]](#endnote-28)).

قال مروان بن جناح القرطبي : " حروف اللين والمد ثلاثة وهي א"ך"י(...) لان هذه الثلاثة مشتركة في اللين والمد جميعاً "([[28]](#endnote-29)). وبشيء من الموضوعية اقول : لم يكن الحافز الى بسط هذه الفائدة الا الحقيقة " لأن الحقيقة – مبتغى الناس في كل جيل – تظهر وسط الصراع"([[29]](#endnote-30)). وتلبية لنداء كريم ضمّنه د. محمد عوني عبد الرؤوف مقدمة عمله القيم ، إذ يقول: " وانني لأتطلع الى يوم نستطيع فيه ان نعود الى دراسة اللغات السامية دراسة جادة مفيدين منها في دراستنا العربية لغة وأدباً وتاريخاً غير مكتفين بما نقوم الان بدراسته في اللغة العبرية والقليل من السريانية والحبشية "([[30]](#endnote-31)).

وملاك الامر : ان مصطلح (اللين) مصطلح قديم اريد به المد " والمدُّ : طول زمان صوت الحرف"([[31]](#endnote-32)). وكشفنا فيما تقدم عن حقيقة (المد واللين) فلا حاجة الى اقتصاصه ثانياً والحق ان المد اخصُّ من اللين ، واللين اعم منه ، وبتعبير المناطقة : " الأخصّ ما ازداد قيداً ، والاعمّ ما ازداد فرداً ". فالنسبة المنطقية بينهما هي العموم والخصوص المطلق . قال ابن كمال باشا (ت940هـ) : " وحروف اللين اعم من حروف المد فكل حرف مد لين بدون العكس"([[32]](#endnote-33)).

المعنى الثاني : وقد يراد باللين اقل من المد في الوقت الذي يستغرقه نطق صوت الحرف([[33]](#endnote-34)) .

المعنى الثالث : قال الدماميني (ت827هـ) : " وبعضُ الجماعة يفرق في حروف العلة بين ما كان قبله حركة مجانسة له فيسميه حرف مد ولين ، وبين ما كان قبله حركة غير مجانسة له كالفتحة مع الواو والياء فيسميه حرف لين ، وبعضهم يطلق حرف اللين على الجميع ، كما فعل الناظم"([[34]](#endnote-35))، وهذا اطلاق ليس بالسديد تأمل قول العيني (ت855هـ) ففيه القول الفصل :" ان حروف العلة اذا كانت ساكنة تسمى حروف اللين ، ثُم اذا ناسَبهُ حركة ما قبله فهو حرف مد ، فكل حرف مد حرف لين ولا ينعكس . واذا كان كذلك فالالف حرف مد أبداً لانه ساكن ابدا والواو والياء تارة حرفا لين كما في قَوْل وبَيْع ، وتارة حرفا مد كما في يقول ويبيع وتارة ليستا حرفي لين ولا مد كما في وَعَدَ وويَسرَ"([[35]](#endnote-36)).

ولا تهمني اسباب اختيار مصطلح (اللين) في مقابل vowels بقدر ما تهمني النتائج ، وبالجملة فإن هذه الترجمة تجاوز علمي غير مقبول([[36]](#endnote-37)). يقول د. غانم قدوري : " اما (أصوات اللين) فان دلالتها عند علماء العربية هي غير ما أراد بعض المحدثين التعبير بها عنه ، فحروف اللين عند علماء العربية تعني الواو الساكنة التي قبلها فتحة ، والياء الساكنة التي قبلها فتحة . بينما هي عند مَن استخدامها من المحدثين يراد بها ان تدل على ما سماه القدماء بالحركات الى جانب حروف المد واللين الثلاثة ، الالف ، والواو الساكنة التي قبلها ضمة ، والياء الساكنة التي قبلها كسرة ، حسب تعبيرهم "([[37]](#endnote-38)). اقول : وهذا الاعتراض وجيه ، غير ان فيه شيئاً قد اغفل وهو المعنى الاول والثاني لمصطلح (اللين) ، وان في ذلك مخالفة واضحة صريحة لمقتضيات التدرج والتسلسل اللذين يقتضيهما النظر العلمي ، ومهما يكن من امر فقد خرج بنتيجة مفادها : "وليس من الدقة العلمية ان نعمد الى مصطلحات معروفة بدلالة معينة ، ونحاول تجريدها من دلالاتها التي عرفت بها ، ثم نلبسها معاني جديدة تظل تتراءى معها المعاني القديمة ، فلا نظفر معها بالمصطلح الذي يتحدد مدلوله من لفظه ، بل ان هذا السلوك سوف يوقع القارئ في اللبس"([[38]](#endnote-39))، واريدان اضيف شيئاً يتصل بما نحن فيه مؤداه : ان الترجمة هي عملية ابدال لفظة بلفظة تقوم مقامها([[39]](#endnote-40))، وفي الحقيقة ان المنطق يسيطر على عملية الترجمة ، ومن اجل هذا "يجب على المترجم ان يقرأ قاموساً ثنائي اللغة لا باعتبار الالفاظ الواردة فيه بمثابة اقتراحات ترجمة ، بل للاطلاع على مختلف المقابلات المقترحة لمصطلح ما سعياً وراء تحديد الحقل الدلالي الخاص بالمصطلح باللغة المصدر ليفهم تماماً الفكرة التي يحملها"([[40]](#endnote-41)). وبعد فقد طال الشوط الذي بدأناه ، وكنا نؤمل ان لا يطول على هذا النحو ، ولكن للضرورة أحكام ، فهو اذن ايجاز حيث ينبغي الاسهاب .

1. ()ينظر : في الأصوات اللغوية : 23 ، 24 . [↑](#endnote-ref-2)
2. ()ينظر : لهجة قبيلة اسد (الهامش) ، 113 . [↑](#endnote-ref-3)
3. ()الجامع في العروض والقوافي : 54 . [↑](#endnote-ref-4)
4. ()الجامع : 269 . [↑](#endnote-ref-5)
5. ()الجامع : 299 . [↑](#endnote-ref-6)
6. ()مجلة المورد : مج11 ، ع1 ، 1982 ، ص81 (الالفات لابن خالويه) . [↑](#endnote-ref-7)
7. ()الرعاية : 125، 126 . [↑](#endnote-ref-8)
8. ()التحديد في الاتقان والتجويد : 106 . [↑](#endnote-ref-9)
9. ()مقدمة في اصول التصريف : 149. [↑](#endnote-ref-10)
10. ()اسرار العربية : 359 . [↑](#endnote-ref-11)
11. ()ثلاث رسائل في علم التجويد : 30 . [↑](#endnote-ref-12)
12. ()شرح المراح في التصريف : 180 . [↑](#endnote-ref-13)
13. ()مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ، ج23 ، 1968 ، ص80 (التفكير الصوتي عند العرب) . [↑](#endnote-ref-14)
14. ()في الأصوات اللغوية : 18 . [↑](#endnote-ref-15)
15. ()علم الأصوات (د. كمال محمد بشر) : 153 . [↑](#endnote-ref-16)
16. ()في الأصوات اللغوية : 71 . [↑](#endnote-ref-17)
17. ()ينظر : علم اللغة (د. وافي) : 276 ، العرب في سوريا قبل الاسلام (الهامش) : 160 ، الأصوات اللغوية (د. انيس) : 27. [↑](#endnote-ref-18)
18. ()مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول (الاسكندرية) م:2 ، 1944 ، ص102 (بحث في اشتقاق حروف العلة) . [↑](#endnote-ref-19)
19. ()في شعاب العربية : 331 . [↑](#endnote-ref-20)
20. ()الكليات : 107 . [↑](#endnote-ref-21)
21. ()مختار رسائل جابر بن حيان : 139 . [↑](#endnote-ref-22)
22. ()الكتاب : 3/426 . [↑](#endnote-ref-23)
23. ()معاني القرآن : 1/160 . [↑](#endnote-ref-24)
24. ()كتاب الكتاب : 89 . [↑](#endnote-ref-25)
25. ()شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط (الهامش) : 2/1005 . [↑](#endnote-ref-26)
26. ()شرح الشافية : (للجاربردي) 2/243 . [↑](#endnote-ref-27)
27. ()درس تاريخي في العربية المحكية : 91 . [↑](#endnote-ref-28)
28. ()كتب ورسائل لابي الوليد مروان ابن جناح القرطبي : 290، 291 . [↑](#endnote-ref-29)
29. ()دراسات في التاريخ : 285 . [↑](#endnote-ref-30)
30. ()القافية والأصوات اللغوية : ط . [↑](#endnote-ref-31)
31. ()تحفة المريد لمقدمة التجويد : 203 . [↑](#endnote-ref-32)
32. ()الفلاح شرح المراح : 322 . [↑](#endnote-ref-33)
33. ()ينظر: تحفة المريد لمقدمة التجويد : 203 . [↑](#endnote-ref-34)
34. ()العيون الغامزة على خبايا الرامزة : 255 . [↑](#endnote-ref-35)
35. ()شرح المراح في التصريف : 180 . [↑](#endnote-ref-36)
36. ()ينظر : علم الأصوات (د. كمال محمد بشر) : 440 . [↑](#endnote-ref-37)
37. ()مجلة كلية الشريعة (بغداد) : ع5 ، 1979 ، ص399 ،400 (المصوتات عند علماء العربية). [↑](#endnote-ref-38)
38. ()مجلة كلية الشريعة (بغداد) : ع5 ، 1979 ، ص400 (المصوتات عند علماء العربية). [↑](#endnote-ref-39)
39. ()ينظر : الكليات : 262 . [↑](#endnote-ref-40)
40. ()أسس تدريس الترجمة التقنية : 177 . [↑](#endnote-ref-41)